



كلا إن معی ربی سیهدين!  
سیدنا موسى علیه وعلی نبینا أفضـل الصـلـاة والـسـلام:  
الـبـحـر أـمـامـه!  
الـعـدـو خـلـفـه!

رُغم ذلك لا مجال عنده للیأس أو الانهزام.

ولا وقت عنده للانتظار ووضع الـیـد عـلـی الـخـدـ.

بل المجال مجال التحرك والانطلاق بخطوات رـبـانـيـة.

يستحضر اليقين في ربه.

يستـلـهـم الثـقـة من وجـود رـبـهـ.

رـغـم أن المشـهـد مـعـتمـ وـمـخـيفـ!

أـول المشـهـد بـحـرـ رـاعـبـ!

وثـانـي المشـهـد عـدـوـ من الـخـلـفـ مـتـجـهـزـ.

وـرـغـم ذلك يـتـحرـك بـخـطـى رـبـانـيـةـ.

خـطـى الوـاثـقـ من رـبـهـ.

يـحـارـبـ الـيـأسـ، ويـتـحـلـيـ بـالـأـمـلـ.

يـنـفـاءـلـ، ثـمـ يـتـحرـكـ، ثـمـ يـتـحدـيـ بـتـحـدـ كـبـيرـ.

بـكلـمـاتـهـ الرـبـانـيـةـ: كـلاـ إنـ معـیـ ربـیـ سـیـهـدـینـ.

يـزـلـلـ بـهـ عـرـوـشـ الـيـأسـ وـالـتـرـدـدـ فـيـ نـفـسـهـ.

فيـعـطـيـ الدـرـوـسـ.

نعم، يعطي الدروس على مرّ التاريخ.

يعطي الدرس الأول: أنه لا يأس بل أمل.

يعطي الدرس الثاني: طالما أن الله موجود، إذاً لا خوف بل طمأنينة.

يعطي الدرس الثالث: بدأنا مع الله، إذاً لا رجوع، بل استكمال للمسيرة مع الله.

فما أن لبّث الأمور قليلاً من الوقت، إلا وقد ظهرت النتائج الربانية العظيمة.

ظهرت كنفّات طبيعية ربانية لمقدّمات ربانية قد مهدّ بها ولها.

فيأتي ذلك اليقين، وتلك الثقة، وذلك الأمل.

فيلتقون جميعاً كلقاء الأحبة المتلهفين المشتاقين.

المتهفين بعد ابتعاد وضباب، والمشتاقين بعد طول غياب.

لقاء يجمع اليقين مع الأمل، مع الطموح، مع الثقة.

كله متوج بلقاء أعظم، وغطاء أجل، وهو المعية الربانية.

الكل يجتمع في معين نوراني رباني واحد.

تخرج ثماره في صيحة واثقة قاطعة شافية.

صيحة الواثق من ربه.

صيحة المتأمل في ربه.

صيحة المؤمن في ربه.

صيحة من أحسنّ الظن في ربه.

صيحة: كلا إنّ معي ربّي سيهدين!

ذلكم النبي موسى.

وذلكم أنا، وذلكم أنتم.

فقد تكالب علينا الأمور في حياتنا.

تنزل المحنّة بعد الأخرى، تكسر العظام، وتهشم الرأس.

تُوقّف الأحوال، تزيد الهم، تجلب الحزن، تُعِّي المشهد.

خطوب من هنا، ومتاعب من هناك.

أمراض من فوقنا، وأخرى من تحتنا.

أعداء من أمامنا، آخرون من خلفنا.

حتى لتكاد تظهر كل المعطيات أمامك وكأن النجاّة قد باتت مستحيلة.

تؤحي إليك بأن الغرق آتٍ لا محالة.

تؤحي إليك بأنه لا مجال إلا للأس والقنوط.

فلا فائدة ترجي، ولا أمل سيتحقق.

فالبلاء منذ زمن قديم قد طال زمانه.

والطرق مقفلة، مغلقة في الوجه لا محالة.

والضمائر قد بيعت، وإنّا لله وإنّا إليه سبحانه راجعون!

والأنفس قد خربت، وصارت باهتة خاوية:

خاوية من القيم والمثل.

خاوية من الأخلاق والفضيلة.

خالية من كل ما ينتمي إلى الإنسانية برابط.

فذاك يؤذى هذا عمداً وتغُيظاً، وكيداً ونكأةً، وحقداً وحسداً.

وفلانْ يشكوك لمديرك؛ ليشوه سمعتك وسيرتك، وليركب هو سُلُّم الترقى والحوافز.

أخلاق قد ضَيَعَتْ.

قيم قد تلاشت.

مشاهد كلها تبعث على القهر وتؤلم النفس.

فيأتي دور الإبليس هنا؛ ليكمل المشهد سوءاً وسوءاً، وبُؤساً واسهراً.

فيوحى إليك إبليس وجندوه بأنه لا داعي من المُضي قُدُّماً نحو أي خير.

يوحى إليك بأنه قد فات الأوان لكي تُصلِحَ ما أفسده الناس والزمان.

يوحى إليك بأنْ كن أنت مع نفسك وحدك.

ولا داعي من النظر مرة أخرى إلى نفسك.

أو قد يوحى إليك بأنه قد فات زمان نفسك.

يوحى إليك بأنه لا داعي من نظرية متحصنة إلى ربك.

بحجة أنه كامل في عبادتك، رباني لا شيء يعيك عبادتك.

وأن عباداتك على ما يرام، وكأنها قد صارت عند الله مقبولة.

أو أنه قد حجزت بها مقعداً في الجنة.

أو بحجة أنه قد قرُبَ موعد رحيلك عن الدنيا وموتك.

أو أن الطريق قد صار مسدواً بينك وبين الناس للأبد.

هكذا تتواتي عليك الإيحاءات الإبليسية، والإشارات الشيطانية.

فتزيدك سوءاً على سوء.

فهي بلاء آخر من نوع آخر.

بلاء من نوع أصعب، وذو طبيعة أكثر اسوداداً.

لأنه بلاء من وحي إبليس ومن جنده.

جنده من البشر قبل جنده من الجن.

يريد إبليس وجنده بتلك الإيحاءات أن يُخسروك.

يريدون بها أن يُقعدوك.

يريدون بها عن الدنيا أن يعزلوك.

يريدون بها أن يحبطوك.

يريدون لمعاك وملذاتك أن يُفقدوك.

يريدون من فرحة الدنيا وملذاتها أن يحرموك.

بإجمال لا يريدونك في الدنيا بأكملها، بل يعلمون فيها بالمحاكاة جاهدين أن يمحوك.

فهل يا عبد الله يليق بك ويصح لك أن تستسلم لإبليس وجنده من الجن والإنس.

هل يصح أن تُسلِّم لهم الراية، وترفعها منهزماً، وتعلن يأسك، وبعده عن ربك؟!  
ألم يكن كيد الشيطان والإنسان ضعيفاً أمام الله القوي المهيمن؟  
ألا يوجد رب متين تستقوى به على إبليس وجنته من الجن والإنس، كما استقوى موسى بربه أمام البحر والعدو؟  
أما آن أوانك؟

أما آن أوانك كي ترفع رأسك، وتحطم يأسك؟

أما آن أوانك كي تمسك مصحفك وتخلو بربك؟

اما آن أوانك كي تتحلى بالأمل في ربك؟

اما آن أوانك كي تُحاسب نفسك؟

كيف أنت؟

كيف أنت مع نفسك؟

كيف أنت مع ربك؟

كيف أنت مع زوجك وزوجتك ومن أحبتهم؟

اما آن أوانك؟

اما آن أوانك كي تصلح ما أفسد الناس عليك؟

اما آن أوانك كي تصلح ما أفسد الزمان عليك؟

سيدي، فلتكن موسى.

وتحل بالظن الحسن في الله.

انهض من ركود، وتقرب إلى المعبد.

استمر!

استمر لا توقف مسيرتك نحو العطاء؛ ففي العطاء كل لذة.

انو الخير دائمًا حتى لو لم تستطع إنجازه.

فأجرك مكتوب عند ربك.

أعط لا تؤجل.

فالموت قادم لا محالة، والدنيا صغيرة وقصيرة!

أعط لا تؤجل، ولا تبخل من نفسك وروحك على من يستحق.

أعط لا تؤجل، ولا تبخل من قلبك على من يستحق.

أعط لا تؤجل، ولا تبخل من علمك ونصحك على من يستحق.

أعط لا تؤجل ولا تبخل أن تكون أنت كما كنت من قبل أنت.

أعط، وكن في عطائك إماماً للمعطين، وقدوة للذاكرين.

أعط، فالسعادة إنما هي لحظات تشبه المعلميات ذات الصلاحية إذا انتهت مات وانتهي زمانها، وصارت بلافائدة.

أعط، قبل أن يأتي يوم قد لا تستطيع أن تعطي فيه.

أعط، وكن كموسى.

واجمع عليك نفسك وعقلك وإيمانك.

لا جعل الشيطان لك قريناً؛ فبئس القرىن.

لَمْ جراحك.

وبِدِّ أحزانك.

وَحَارب إبليس وأصدقاءه وأتباعه.

استجلب بكل وسيلة معية ربك.

ورَدِّ بُقْة المؤمن وإيمان القوي.

رَدِّ بُنْقة الموقن ويقين الواثق.

رَدِّ بِأَمْلِ المؤمن وإيمان الأمل.

وأُعلنها عالياً مدوية قوية:

كلا إن معي ربى سيهدين!

وصل اللهم على نبينا محمد، معلم الناس الخير للناس أجمعين.

الألوكة

المصادر: